عن صوته الجديد ، وعن امكانية تفجير الاشكال الادبية السائدة ، في سبيل اكتشاف اشكال قادرة على حمل رؤيتنا الثورية الجديدة ، تختفي هنا ، ليأتي السائد بكل عناصره القديمة ، وكأنه هو صوت هذه المرحلة .

طوفان المستقبل

في الافتتاحية التي كتبها محمود درويش لهذا العدد «لا تعود الى الماضي حين تذهب في العودة»، استكمال للخط النثري التأملي ، الذي استطاع فيه درويش ان يمزج الشعر بالنثر ، وان يقيم سلسلة دوائر بلا حدود ، ينساب داخلها الماء الشعري ، وكأنه حلم يأتي داخل حلم سابق . لذلك فحين تمتزج الاسلوبية القصصية باستدارة الشعر ، فانها تحايل ، يصوغه الوعي الفلسطيني في معركته من اجل الوجود . فدرويش حين يؤكد على مستقبلية العودة . « الانسان الذي تخلقه الثورة هو انسان منجز لا وارث » . يتابع محاولته لصياغة الوعي الفلسطيني في أكثر لحظاته توترا وصفاء . لذلك يلتقي صوته في هذا العدد بصوت أحمد دحبور « وأشهد انني أصل انفجاري بالولادة » . هنا تتحد الرؤيا المستقبلية بوصفها رؤيا الطوفان الذي سيأتي على سواعد الفقراء « أقول : ان قبيلة الفقراء تحفظ حكمة الطوفان ». بين هذين الحدين : المستقبل الذي يصنعه وعي تاريخي مأساوي تقوم الثورة بصياغته ، وملامحه التي تأتي لحظة الموت . الولادة ، داخل طوفان تصنعه الجماهير المقاتلة، تتحدد بعض ملامح الوعي الفلسطيني في رحلته داخل سفينة الثورة الى البحر الواسع . لكن هذين الحدين ، اللذين نلمحهما في بداية العدد ، يختفيان بشكل مأساوي . لنعود الى النغم القديم بعد أن خلع رداءه الموسيقي ولبس صوتا خشنا غير قادر على الاقناع .

قصائد هذا العدد ، هي تنويع على الماضي . ولولا اللحظات الانفجارية التي يضعها دحبور في قصيدته ، لاستطاعت الرتابة التكرارية أن تضمها هي الاخرى . لكن هذه القصيدة في تقدمها داخل لغة شاعرها السابقة ، تستطيع ان تومض في لحظات قليلة ، قدرة على التجاوز من خلال نقطة محددة استطاع صوت دحبور تطويرها في شعرنا الفلسطيني . هي نقطة الزمن الجديد الذي يصيغه الفقراء . فالفقراء ، هي احدى الكلمات — المفاتيح ، التي تضيء اشكالية التداعي في شعر دحبور . لكن بعض المقاطع الشديدة المباشرة في القصيدة ، لا تخدم بنيتها الفنية ، بل تؤكد على الدلالة الخارجية التي لا تفسح لحقل التداعي الدلالي في القصيدة بالتوسع عاموديا . وهذا ما يحاوله محمد القيسي في قصيدته « فاتحة العذاب وفاتحة الاغاني » . لكنه في موسيقته الخارجية القصيرة ، لا يعطي لابعاد رؤيته الفنية مجالا رحبا للتشكل . فتأتي قصيدته وكأنها تحمل في داخلها امكانية رؤية شعرية متقدمة تؤشر في لجوئها الى عناصر الطبيعة ، الى قدرة هذه العناصر ، على تشكيل ميدان رحب لرؤية فنية متقدمة .

ما عدا هذين الصوتين الشعريين ، تأتي بقية القصائد ، وكأنها مجبولة برؤية مفتتة . رؤية غير قادرة على توحيد اللحظات الشعرية ، داخل لحظة فنية متكاملة . فتأتي بعض الفقرات او الاسطر الشعرية ، لتضيء مساحة لا تستطيع القصيدة في بنيتها احتمالها ، فتضيع اللحظات الشعرية ، داخل صخب نثري ، لا يحمل اية دلالات جديدة . هل يعود هذا الى ظاهرة عامة في الشعر الفلسطيني ، ام أنه مجرد لحظة ؟ ربما كان السؤال خاطئا . فهذه الاصوات الشعرية التي تجتمع في هذا العدد ، تفتقد من حيث المبدأ قدرتها التمثيلية الشاملة. فلا توجد قصيدة واحدة لشعراء الارض المحتلة . وهذا خطأ او خطيئة وقعت فيها هيئة تحرير « الآداب » . فكيف نتحدث عن صوت الادب الفلسطيني الحديث ، وأصوات شعراء الارض المحتلة غائبة بشكل كامل ؟ ثم جاء هذا الحشد الشعري ليمثل تجارب لم تنضج فنيا بشكل متكامل . ان عدم النضج ليس خطأ او عيبا . لكن الخطأ هو في وضع تجارب لم تستكمل عدتها بصفتها تعبر عن الصوت الشعري الفلسطيني . فأصوات الكثير من الشعراء هنا تحمل قدرة مستقبلية على العطاء ، لكنها ليست هي واقع الشعر الفلسطيني . من هنا سوء التفاهم المبدئي بين القارىء وبين هذا العدد . كما يجب من ناحية ثانية ، تسجيل ملاحظة مبدئية: فهذا الشعر الذي يجيء في اغلبه مباشرا ، وملتقطا من المارسة السياسية طرفا واحدا من معادلتها المتعددة ، يقع في تسطح معانيه . فالمارسة الثورية ، ليست مجرد فعل سياسي بالمعنى المباشر للكلمة ، بل هي